سِرُّ لَيلة

محمد تامر

١:

كان الجو بارداً جداً في الإسكندرية تلك الليلة، حتى بالنسبة إلى ذلك الرجل الذي يسير وحده كما اعتاد أن يفعل في مثل تلك الليالي؛ كي لا يفوت فرصةً يستمتع فيها بهذه الأجواء الباردة المفضلة لديه، ورغم أن الجميع يكونون في منازلهم في مثل هذه الأوقات ليتمتعوا بدفء عائلاتهم، أو أغطية نومهم أو سخونة مشروباتهم ، إلا أن رجلنا دائماً ما يخرج وحده ليواجه البرد ويصادقه بدلاً من الهرب منه!

ولكنه في تلك الليلة كان يعلم فعلاً أن الجو بارد أكثر من المعتاد؛ ولذا فقد قرر أن يعود إلى منزله، ويتجرع مرارة الإستسلام أمام البرد بدلاً من تجرع مرارة الإصابة بالبرد!

ولكن البرودة الشديدة لم تكن وحدها هي ما جعل هذه الليلة مميزة عن غيرها، وإنما يرجع السبب في كونها كذلك هو ما حدث فيها وليس قسوة أجوائها على الإطلاق؛ فعندما أصبح رجلنا قريباً من منزله رأى شابة تسير وحدها باكيةً تتحسس الجدران بإعياء، مرتديةً قبعة شتوية صغيرة ومعطفاً بنياً من الجلد المبطن

بالفراء، وحاملةً حقيبة ظهر متوسطة الحجم، اقترب منها رجلنا وسألها بنبرة قلقة: "اهدئي....ما بكِ؟!"

نظرت إليه وازداد بكاؤها، وفجأة بدأت تضرب رأسها بالحائط ولم تتوقف إلا عندما جذبها من ذراعها بعيداً وأدارها لتواجهه، وقال لها بحزم: "حسناً يا فتاة، هذا يكفي! أياً كان ما حدث فهو بالتأكيد لا يستحق أن تحطمي رأسكِ لأجله!"

ردت بصعوبة من بين دموعها: "نعم...أنت محق....بل يستحق أن أقتل نفسي!"

انفعل الرجل قائلاً: "كلا! ولا حتى ذلك، لا تتفوهي بهذا الهراء!"
=إذن دعني أمضي لحال سبيلي ولن أزعجك بهرائي!
-كلا، لم أقصد....اسمعي، ألديكِ عائلة أو أقارب أو أصدقاء يمكننا أن...
=ليس لدي أحد، ولا حتى مكان إقامة....ليس بعد الآن!
-اللعنة....وأين كنتِ تنوين المبيت إذن؟!
=كنت سأنام على الأرض في أي زقاق خلفي!

عقد الرجل حاجبيه وتنهد قائلاً: "كلا يا فتاة، لن تفعلي....الجو بارد جداً الليلة، ادخلي إلى منزلي لبعض الوقت إلى أن نتواصل مع أحد يعرفك..."

صرخت مقاطعةً إياه: "لا! لا! لن أسمح لهذا بأن يتكرر، ابتعد!"

أحكم الرجل قبضته على ذراعها وقبض على ذراعها الآخر، ونظر إليها لبضع ثوان عاقداً حاجبيه، ثم رفع حاجبه الأيمن قائلاً: "أظن أنني ربما بدأت أفهم....أو أكون نظريةً ما..."
=أنت لا تفهم شيئاً، والآن دعني...
-لا، اسمعي...أقسم لكِ بأنني لن ألمسكِ أبداً عندما نصل إلى منزلي، سنتحدث فقط وسنجد من نتصل به ممن تعرفينهم، أنا أعدكِ!

هدأت ثورة الفتاة قليلاً، ونظرت إليه وهي تزدرد لعابها، فربت الرجل على كتفها مكرراً كلامه: "أقسم لكِ أنني لن ألمسكِ يا فتاة! انظري إلي....ربما أكون بعمر والدك أو أقرب!"

نظرت الفتاة إلى الأرض وقالت بحزن: "والدي مات منذ بضع سنوات."

تنهد الرجل بأسى قائلاً: "أنا حقاً آسف يا فتاة....أنا حقاً آسف!"

رفعت رأسها مجدداً وقالت بتردد ونبرة يكسوها القلق والخوف: "سأوافق، ولكن أتوسل إليك ألا تفعل بي شيئاً، أتوسل إليك، دعني أخلد إلى النوم وحسب أرجوك، أرجوك ألا...."
-لن أفعل، أقسم لكِ أنني لن أفعل، والآن اهدئي وسيري بجانبي قبل أن يشتد البرد...هدئي من روعك!

هدأت دموع الفتاة وقبلت أن تسير مع رجلنا إلى منزله، وكان خوفها ما زال قائماً وواضحاً طوال الطريق، وبعد مسيرة استغرقت حوالي دقيقة ونصف وصلا، وفتح الرجل الباب وأدخلها ثم أشار لها بأن تجلس على كرسي قريب من المدفأة، وقال مازحاً مشيراً إلى ديكور منزله الكلاسيكي البسيط: "إنني قديم الطراز نوعاً ما كما ترين، اعذريني لأنني أعلم أن هذه الأمور لا تعجب أمثالكم من شباب اليوم!"

جلست الفتاة وردت بتوتر: "كلا، على النقيض تماماً!"

توجه الرجل إلى المطبخ ورد: "هذا أمر يسعدني، أتشربين شيئاً؟"

أومأت بالرفض، فسألها: "أتاكلين شيئاً؟"

فرفضت ثانية، فقال مازحاً: "وأنا سمعي ليس بكامل قوته رغم أنني لم أبلغ الخمسين بعد، ولذا سأفترض أنك قلتِ [نعم] وسنأكل بعض المعكرونة سوياً!"

ابتسمت الفتاة ابتسامة سريعة ثم قالت مصرة: "لا تضغط علي أرجوك، لا أريد أن آكل أو أشرب شيئاً!"

عقد الرجل حاجبيه، ثم خرج وجلس أمامها وسألها قائلاً: "حسناً يا فتاة، أنتِ الخاسرة بأية حال!
المهم...أتعرفين أحداً نتصل به؟"
=....لا أظن أنه سيكون من الجيد أن أتصل بأي أحد الليلة!
-ولكن لماذا؟!
=لا أود أن أتحدث في هذا الأمر!

-لا تودين؟! اسمعي يا...ما هو اسمك؟ أم أنكِ لا تودين ذكره أيضاً؟!

=مريم.

-نعم، حسناً يا مريم، في حال أنكِ لم تلاحظي...منذ بضع دقائق وجدتك في الخارج تسيرين وحدك في البرد وأنتِ تنوين النوم في الشارع وحيدة، وأدخلتك هنا لكي أساعدك في الوصول لمن يعرفك حتى أطمئن أنكِ بأمان وأفهم ما يحدث، أتظنين أنه ليس من حقي أن أعرف أي شيء؟!

=....أنا...لا أود فقط الحديث الآن، أرجوك!

-....حسناً يا مريم، لا أظنكِ ستتحدثين مع كل ذلك القدر من التوتر، تعالي ورائي لنتجول في بعض أجزاء المنزل سوياً فلربما يجعلك هذا تهدئين أكثر.

ازدردت مريم لعابها ونظرت إليه بقلق واضح، فاقترب العم منها قائلاً: "اسمعي يا مريم...ما يحدث هذا أعتبره من أكثر الأمور التي حدثت لي في حياتي غرابة وغموضاً، وأعلم أن لديكِ كل الحق في الخوف أياً كان ما حدث، ولكن...ساعديني يا ابنتي كي أستطيع أن أساعدكِ، أنا أحب حياتي الهادئة البسيطة تلك ولا أحب أن أشعر بأنني متورط في أي أمر غريب لا أفهمه، من

حسن الحظ أن أحداً من الحي لم ينتبه لدخولك معي إلى هنا بأية حال....لا أطلب منكِ أن تتحدثي الآن فهذا حقك، من الحمقاء التي ستطمئن لغريب بأية حال؟! ولكنك في منزلي يا مريم الآن وكل ما أريده هو بعض من الثقة فقط كي أستطيع مساعدتكِ، أيمكنك منحي ذلك؟!"

هدأت مريم أكثر من السابق، ووضعت حقيبة ظهرها على الأرض وقامت لتسير معه، وسألته عن اسمه بنبرة قلقة فأجابها: "ناديني بالعم كمال، أطفال الحي كلهم تقريباً ينادونني بذلك بأية حال."

وعندما سارت معه استطاعت أن تركز أكثر في ملامحه، كان بالتأكيد في أربعيناته لكن لم يبدو عليه تقدماً في السن وإنما كانت ملامحه وسيمة كشاب في أواخر عشريناته، ولديه زوج من العيون الصغيرة الحزينة رغم مرحه الظاهر، وذقن كاملة غير كثيفة زادت من هيبته، أما شاربه فكان خفيفاً جداً، وكان شعره كثيفاً وناعماً وممشطاً بعناية، وبالطبع أمكن للناظر إلى وجهه أن يلاحظ بضعة شعيرات بيضاء غزت شعره وذقنه، لكن إجمالاً - بعيداً أيضاً عن بعض التجاعيد البسيطة التي

كانت ظاهرة على وجهه - بدا أنه رجل يحب الإهتمام بنفسه وبمظهره جداً.

وقد اكتشفت مريم أنه لا يحب الإهتمام بمظهره فقط عندما وصلت معه إلى غرفة بها مكتبة ذات عدة رفوف مشغولة بأنواعٍ شتى من الكتب، وإثر دخولهما قال العم: "أعلم السؤال الذي يدور بخلدك الآن، وإجابته هي لا، لم أقرأ كل هذا...أعتقد أنني قرأت نصفه مثلاً، أو كتابين على الأقل من كل قسم هنا."

بدأ قلق مريم يزول تدريجياً رغم غرابة الموقف، وبدا الإعجاب على وجهها وهي تفحص ببصرها نظام الغرفة البسيط، مكتب وحوله ثلاثة كراسي مع إنارة بسيطة، وشمعة على المكتب سألته بشأنها فأجابها بأنه يحب القراءة على ضوء الشموع عندما يكون مزاجه مائلاً لذلك، وسألته بعد ذلك عن الكراسي بعفوية فعقد حاجبيه وربت على كتفها، ثم خرج من الغرفة ودعاها لتأتي وراءه دون أن يرد على سؤالها، ورغم الفضول الذي انتاب مريم إلا أنها بالطبع لم تكرر سؤالها مرتين!

أراها العم كمال بقية غرف المنزل سريعاً دون تعليقاتٍ

كثيرة، وعندما انتهيا عادا إلى الصالة وجلسا، وقال العم لمريم: "الكراسي التي بالداخل كانت لزوجتي وابنتي ولي، لكن ابنتي الآن تدرس في جامعتها ولن أراها قريباً على ما أظن، وزوجتي غاضبة مني بسبب خلاف صغير وتقضي وقتاً مع أهلها الآن، تجاهلت سؤالكِ لأنني لم أرد أن أذكر هذا وحسب، لكنكِ تعرفينه الآن!"

نظرت إليه الفتاة وقالت محاولة إظهار التعاطف رغم توترها الذي كان لا يزال قائماً مما لا شك فيه: "أنا حقاً آسفة يا عم، وأرجو أن تعود إليك ابنتك في أقرب وقت، وأن ينتهي الخلاف بينك وبين زوجتك لتعودا كما كنتما." -سينتهي بإذن الله؛ فنحن نحب بعضنا حباً جماً وما كنا لندع خلافاً بسيطاً يفرقنا.

خيم الصمت لبضع ثوان، وانتهزه العم ليسترق النظر إلى مريم ويركز أكثر في ملامح وجهها، كان وجهاً صغيراً دائرياً جذاباً ولطيف المنظر، وكان لديها زوج من العيون العسلية الواسعة وأنفاً صغيراً، وشفاهاً متوسطة الحجم ووجنتين صغيرتين، أما عن لون بشرتها فقد كان منافساً بارزاً للقمر، وأما بشأن شعرها فقد كان متوسط الطول ناعماً ذا لون بني جذاب مع لمعة ذهبية، كان وجهها

جميلاً جداً وبريئاً لدرجة جعلت العم يقطع الصمت ويسألها عن عمرها فأجابته بأنها في العشرين، فقال مازحاً يغازلها: "كل هذا الجمال في مثل هذا العمر! تذكرينني حقاً بابنتي!"

ابتسمت مريم بصعوبة، وتابعت التجول ببصرها في أرجاء الصالة إلى أن استقر على صورة معلقة على الحائط، تجمع العم بعدد من الأولاد الصغار المبتسمين.

لاحظ العم تركيزها على الصورة، فقرر أن يتابع حديثه كي يخفف من حدة توترها، وقال: "أبناء الحي، بمثابة أولادي بكل تأكيد ويحبونني حباً جماً، لن أبالغ إن قلت أنهم يعطون لحياتي قيمة مميزة في الوقت الراهن، أعتقد أن حبهم وصداقتهم هي الإنجاز الذي أفخر به، كثيراً ما أذهب لألعب معهم في أماكن لعبهم، يحبون هذا وأحبه أيضاً."

التفتت إليه مريم وقد بدأت ابتسامتها تتسع شيئاً فشيئاً فأكمل حديثه: "أنا أحب الأطفال والصبيان جداً، هنالك صبي في الحي هنا يحبني لدرجة أنني أتولى تعليمه وشرح المواد له عندما يأتي إلي في أوقات فراغه، إنه

حتى كما قال بنفسه يفضلني على والديه! حقاً يا مريم...ليس المفهوم الوحيد للإبن أنه من تنجبه زوجة الرجل، بل أن الرجل يستطيع أن يكون أباً لكثير من الكبار والصغار بأن يحبهم ويصادقهم ويكون قدوة لهم، كذلك النساء بالطبع...خطبة مؤثرة، أليس كذلك؟!"

ردت مريم مبتسمة: "تذكرت والدي وحسب، لم يكن جيداً جداً بهذا القدر...بأية حال، رحمه الله."
-رحمه الله....والآن، أيمكنكِ أخيراً أن تتحدثي؟

مطت مريم شفتيها وظلت صامتة لبضع ثوان، فقال العم بهدوء: "لا أظن حقاً أنكِ ستستطيعين الليلة أن تتحدثي بأي حال من الأحوال، لكن أخشى فقط أن يشعر أحد بالقلق عليكِ..."

ردت مقاطعةً إياه: "صدقني يا عم، لو أنني مِتُّ الليلة فلن تجد أحداً يعرفني ليدفنني!"
-لا تقولي هذا يا فتاة، بارك الله في عمرك....حسناً يا مريم، اسمعي....سأعد لكِ سريري لتنامي عليه وسأنام أنا على الأريكة هنا، ولا تقولي لا!
=حسناً، سأحاول أن أكون مرتاحة!

-أعلم أنه من المستحيل أن تكوني مرتاحة يا مريم، هذه بديهيات وحلول بديلة نرغب بالطبع ألا نلجأ لها، ولكن حل كهذا هو الوحيد الذي يصلح في حالتكِ الآن! عندما تستيقظين في الصباح وتحصلين على قسط كافٍ من النوم ستقصين علي قصتك كلها، أتعدينني؟
=أعدك.

وبالفعل أعد العم غرفته لمريم، وأخبرها أن تدخل لتنام، فحملت حقيبة ظهرها ودخلت الغرفة، وفتحتها لتخرج منها ثوباً أحمر اللون مصنوع من الحرير الرقيق وترتديه، وبعد ذلك ألقت بجسدها المتعب على السرير ونامت.

أما العم فقد ظل جالساً أمام المدفأة لبعض الوقت شارد الذهن، وفجأة سالت من إحدى عينيه دمعة وحيدة مسحها وهو يبتسم، ثم نام هو الآخر بعد عدة دقائق.

ومرت الليلة على العم ثقيلة وخفيفة في الوقت ذاته بطريقة لا يمكن تفسيرها، لكنه عندما استيقظ في الصباح التالي شعر ببعض الدوار الذي سرعان ما بدأ يزول مع مرور الوقت، وقام لينادي على مريم لكنها لم

تجبه، كرر النداء فلم تجبه للمرة الثانية، فظن أنها لم تستيقظ بعد وتوجه إلى الغرفة ليطمئن عليها، ولكن لدهشته لم يجدها في الغرفة، ولقلقه لم يجدها في المنزل على الإطلاق!

أي عبث هذا الذي يحدث؟!

٢:

ما حدث كان بالطبع غريباً جداً بالنسبة للعم؛ فهو حتى لم يسمعها على الإطلاق وهي تخرج رغم أنه يعلم أن نومه ليس ثقيلاً لهذه الدرجة، بالطبع ظل يفكر في اختفاء مريم الغريب ويربط الأحداث والكلام ليصنع نظريات بداخل عقله، في البداية ظن أنها خرجت لتتجول في المكان مثلاً فخرج ليسأل ويبحث عنها لكنه لم يجدها، فعاد وهو يجر أذيال الخيبة وأخذ يفكر، لقد بدا بكل تأكيد أنها كانت خائفة من أحد أو شيء ما لدرجة جعلتها تهرب وهي مستعدة لتنام في الشارع، لكن ما الذي يخيفها يا ترى ولماذا؟ وهل هو حقاً مرعب لهذه الدرجة؟!

إذن فلو أنها خائفة فعلاً من أحد ما، فهذا يزيد من احتمالية كونها قد اختطفت، ولكن كيف تم إخراجها من المنزل دون أصوات صراخ حتى أو أية مقاومة؟ إن السرير نظيف تماماً والغرفة مرتبة كما هي بدون آثار اقتحام على الإطلاق، أيعقل مثلاً أن تكون خرجت بإرادتها؟

خرجت بإرادتها إلى من كان يخيفها لدرجة جعلها

جاهزة للمبيت في الشوارع للهروب منه؟!
ولو افترض أنها قد خرجت ليلاً لتتجول كما ظن منذ قليل أنها تفعل، أستكون قادرة أصلاً أو راغبةً في التجول؟ وما الذي سيدفعها للخروج من المنزل وهي تحمل كل ذلك الخوف في قلبها؟ وكونها كانت مستعدة للمبيت في الخارج ليس مبرراً مقنعاً بالمناسبة فهو ليس سوى اختيار قهري، ليس من المنطق أن تخرج من الأمان إلى الرعب بالخارج....هنالك شيء خاطئ في كل هذا.....

حاول أن يهدأ ويتوقف عن التفكير لبضع دقائق على الأقل حتى لا يصاب بالجنون، أعد فطوره وجلس يشاهد فيلماً لبعض الوقت، لكن سرعان ما انتابته الحيرة مجدداً فتجاهل الفيلم وأخذ يضرب أخماساً في أسداس دون أن يهتدي لأي تفسير يطمئنه، وإنما مجرد احتمالات لا قيمة لها بالطبع دون الحقيقة!

حتى لو أراد أن يتجاهل الأمر ويعتبر أن الفتاة ليست بمسئوليته لأنه لا يعرفها أصلاً فلن يستطيع؛ لقد دخلت منزله ونامت على سريره، لا يمكنه أن يتجاهل ذلك!

فجأة سمع العم طرقاً على الباب، فانبعث بعض الأمل في قلبه وقام ليفتح الباب علها تكون مريم، ولكن لخيبته كان الطارق شاباً لا يعرفه، كان يرتدي معطفاً بقلنسوة وملابس وقفازاتٍ سوداء، وقال للعم ببرود: "أتمانع لو تحدثنا لبعض الوقت بالداخل؟!"

عقد العم حاجبيه وسأله: "من أنت يا بني؟!"
=أدخلني أولاً وسنتحدث!

بدأ العم يشعر بقلق شديد، لكنه في النهاية سمح للشاب بالدخول وأغلق الباب وراءه، وعندما التفت رآه وقد شهر مسدساً مزوداً بكاتم للصوت في وجهه قائلاً: "والآن سأخبرك بشيء واحد تحتاج أن تعرفه عني، وهو أنني لا أحب إضاعة الوقت، لذا فأرجوك ألا تضيع وقتي وتخبرني إلى أين أخذوا الفتاة؟! وأيضاً أخبرني من أنت؟!"

ظهر الخوف على وجه العم ولكن ليس بشكل واضح، ورغم ذلك حاول أن يتمالك نفسه ورد: "الفتاة....أتقصد مريم؟!"

ازداد غضب الشاب وقرب اصبعه من الزناد، ورد وهو يضغط على أسنانه من الغضب: "نعم أيها اللعين، مريم! عليكم اللعنة جميعاً! أين هي؟!"

التقط العم أنفاسه واستطاع أن يتمالك نفسه أكثر، ورد: "اسمع يا بني، أقسم لك أنني لا أعرفها حقاً ولا أعرفك ولا أعرف من تتحدث عنهم، ولا أفهم شيئاً على الإطلاق مما يجري هنا، لا تعتقد أن هذا السلاح سيخيفني فأنا اليوم أحيا منتظراً الموت بأية حال، طالما أنك قابض على سلاحك فأنا لن أنطق بكلمة، قد أبدو خائفاً أمامك ولكن هذا رد فعلٍ طبيعي، أنا لن أتحدث إلا عندما تهدأ وتبعد مسدسك أيها الشاب!"

أغمض الشاب عينيه لبضع ثوان، ثم أذعن لرغبة العم وأعاد مسدسه إلى جيبه، ثم قال: "حسناً، ها أنا قد أعدت المسدس إلى مكانه، والآن أعطني مبرراً واحداً يجعلني لا أستله مجدداً وأفجر برصاصة منه وجهكَ الوسيم هذا!"
-مبرري هو حكايتي، وسأحكيها لك حتى تفهم بأنني حقاً لا أدري من مع من ومن ضد من!

حكى له العم ما حدث، وأقسم له أنه لا يستطيع إيجاد مريم منذ الصباح، وأنه لا يعرفها إطلاقاً ولا يعرفه كذلك؛ فهدأ الشاب أكثر وقال: "آسف، ظننتك متواطئاً معهم، لكنك حقاً لا تبدو من هذا النوع."

-وإذن من هم؟ ومن أنت؟ ومن مريم؟ وما الذي يحدث أيها الشاب؟ ولِمَ أنا في خضم كل هذا؟!

=بالنسبة للجزء المتعلق بكونك في خضم كل هذا فهو ليس سوى مصادفة، فنحن أيضاً لا نعرفك على الإطلاق، إن المصادفة التي جعلتك في خضم هذا هو أنك تركت مريم تبيت معك!

-امم....وماذا عن بقية الأجزاء؟ لن تخبرني صحيح؟!

قام الشاب وطلب من العم أن يشير له حيث نامت مريم، فأشار إلى الطابق العلوي وأخبره أنها نامت في غرفته، فتوجه الشاب نحو الدرج ووراءه العم وهو يقول: "أكانت ترتدي ثوبها الأحمر؟!"

-ثوب أحمر؟ لا يا بني، بل كانت ترتدي ثياباً شتوية، أذكر بالمناسبة أنها كانت تحمل حقيبة ظهر معها.

=ممم...لا بد وأن الثوب كان فيها إذن.

-وما مسألة الثوب؟!

=لا تشغل بالك!

قبض العم على معصم الشاب عندما أصبحا مجاورين لنافذة موجودة عند أول الدرج، وقال له: "أنت في منزلي، ومريم نامت في منزلي، ولا أستطيع مساعدتك إذا كنت لن أعرف من أنت!"

أفلت الشاب معصمه من قبضة العم قائلاً: "عليك أن تعلم الآن فقط أنني أحاول حمايتها!"
-حمايتها؟!
=نعم!
-....ومم أو ممن تحاول حمايتها إذن؟!

فتح الشاب فمه ليرد، لكنه سرعان ما فتح عيناه عن آخرهما إثر نظرة استرقها من النافذة وصاح: "انخفض!"

عقد العم حاجبيه، لكن الوقت لم يسعفه للسؤال إذ أن رصاصة اخترقت النافذة وحطمت زجاجها؛ انخفض العم بسرعة هو والشاب الذي سأله متهكماً: "كنتَ تسأل بشأن الحماية، أليس كذلك؟!"

قال العم وقد كاد قلبه ينفجر من التوتر والخوف:
"اللعنة يا رجل! ما هذا بالله عليك؟!"

رد الشاب بتهكم مرة أخرى: "إنه الموت الذي تحيا منتظراً إياه!"
-حسناً، أظنني لم أعد نفسي جيداً لاستقباله بعد!

انطلقت رصاصة أخرى ، فقال الشاب متهكماً للمرة الثالثة: "وإذن علينا أن نحصل على فرصة أخرى أيها العجوز! سنهرب من هنا لأن هذا اللعين قناص وهو أحدهم، ولن يريد أن يقتلني فقط بل سيريد أن يردي الشهود قتلى أيضاً!"
-وأنا الشهود بالطبع!
=بالطبع يا عبقري! والآن فلنركض تجاه الباب باتجاهات بعيدة عن مدى النافذة، أحني رأسك وابدأ الركض بسرعة عندما أعطيك الإشارة!

رفع الشاب يده أمام النافذة وأنزلها بسرعة، وقد نجحت خطته لتشتيت القناص إذ أنه أطلق رصاصة ثالثة بالفعل، وهنا صاح الشاب: "الآن وبسرعة!"

ركضا تجاه الباب وقد أحنيا رأسيهما، وكان الشاب قد سبقه فرفع رأسه بسرعة وصدم الباب بكتفه ليفتحه ويخرج بسرعة ويبتعد، لحق به العم ليجده واقفاً يتنهد

ويلتقط أنفاسه، ويقول: "حسناً، هذا القناص لابد وأنه قد تسلق المبنى بحبل أو شيء من هذا القبيل؛ فهو لن يطلب من ساكني المكان بشكل ودي أن يجعلوه يصعد ببندقية قنص إلى السطح لكي يقتل جاراً في المنزل المقابل لهم! هنالك احتمالات بأن يكون قد....خدرهم أو قتلهم ولكن من معرفتي بهم فهي ضعيفة...هذا الأحمق سيظل في مكانه لبعض الوقت كي يضمن ألا يراه أحد، وبالفعل ما كان ليراه أحد سوى أشخاص أمثالي يعلمون كيف يجدون هؤلاء الحمقى حتى لو وضعوا عباءات الاختفاء! هذا اللعين أيضاً لن يستطيع القفز إلى مبنى آخر نظراً للمسافات الكبيرة، وبالمناسبة أستطيع أن أستنتج أنه يراقبنا منذ فترة وسيظل منتظراً فرصته، ولكنني سأنهي انتظاره هذا الآن!"

أخرج الشاب قناعاً حديدياً من جيبه، وارتداه ووضع قلنسوته قائلاً: "تَمَنَّ لي الحظ! سأقتله وأعود!"
-تقتله؟! وتعود؟! بهذه السهولة؟!

لم يرد الشاب، وإنما ركض تجاه المبنى الذي يقف القناص عليه، ووجد مجموعة من الناس فاندس بينهم وسار وقد أحنى رأسه حتى لا يلاحظه أحد؛ فهو بالطبع

يعلم أن القناص لن يضحي بفرصة قتل أحد من المارة ولذا فسيكون عليه أن يركز أكثر كي يجده بينهم، وفي خلال هذا الوقت كانت المجموعة قد اقتربت أكثر من المبنى، وعندما أصبح الوقت والمسافة مناسبين استل الشاب مسدسه بسرعة، وأطلق رصاصة دقيقة جداً على القناص أردته قتيلاً، وبالطبع ذُعِرَ الناس من صوت إطلاق النيران وهنا انتهز الشاب الفرصة فرفع مسدسه وأخذ يطلق طلقات عشوائية في الهواء إلى أن ابتعد عنه الجميع، وعندها ركض عائداً إلى العم الذي كان يترقب الأخبار بخوف وقلق واضحين، وقال عندما رآه: "تهانينا، الحي كله سيطاردني الآن! لقد رأوني أطلق النار وسرعان ما سيبلغوا الشرطة، وعلي أن أهرب من هنا، لا تقلق فسوف تكون بأمان، فقط اختبئ بداخل منزلك خلال الأيام المقبلة ولا تخرج إلا للضرورة، و....ابق بعيداً عن النوافذ بالطبع، أعتذر لك عن سوء ظني بك، وداعاً!"

قال العم مستنكراً: "كلا أيها الشاب، لن تفعل، لن ترحل وحدك! ما زلت تدين لي بشرح!"

=مريم هي أختي!

-....أختك؟! ولكن...إنك ترفع مسدساً وتطلق النيران، وهنالك قناص يحاول قتلنا، وهي كانت مستعدة للنوم

في الشارع وعندما نامت معي ليلة لم أجدها في اليوم الثاني....لا، لن تفعل! إنني آتٍ معك!

نظر الشاب حوله وضحك عالياً لبضع ثوان ثم قال:
"اسمع يا رجل، لا أستطيع أن أضيع الوقت في مثل هذه الأحاديث لأن الشرطة ستكون في أثري بعد عدة دقائق، ولذا..."

قاطعه العم قائلاً بحزم: "لقد رأيت وجهك وملابسك، وإذا لم تأخذني معك سأشهد ضدك سواء أكانوا سيجدونك أم لا، هذه الفتاة نامت في سريري واختفت وأنا لن أعيش طوال عمري دون أن أفهم السر وراء هذا!"

وهنا استل الشاب مسدسه وصوبه تجاه العم قائلاً: "وما الذي يمنعني الآن من قتلك هنا أنت أيضاً؟! وبصماتي ليست على السلاح أو الرصاص بالمناسبة بما أنني أرتدي قفازاً!"

ازدرد العم لعابه ولم يتفوه بكلمة، وهنا أعاد الشاب مسدسه حيث كان وقال: "لكنك محق...مريم نامت معك ووجدت منك معاملة طيبة أنقذتها من قضاء ليلة باردة

في الشارع، حتى لو كنت ستشهد ضدي فلن أمسك بسوء، لكنني لن أنكر عليك مرادك....ستأتي معي، ولكن شرط أن تكون مستعداً لتحمل ما سنقابله، وألا تسأل كثيراً من الأسئلة، نفذ وحسب!"
-....سأحاول، أرجو فقط أن تكون الأحداث القادمة أقل جنوناً من هذا!
=إذن دعنا لا نضيع مزيداً من الوقت، هيا!

خلع الشاب معطفه وألبسه للعم وأمره بأن يغلق أزراره ويضع القلنسوة حتى لا يلمحه أحد، وركضا سوياً بأقصى سرعة مبتعدين عن المكان، وبعد عدة دقائق توقف الشاب وأمر العم أن ينتظر قليلاً، ثم اتصل سريعاً بأحدهم وقال له: "لقد تم الأمر، تعال!"

وذكر له تفاصيل المكان، وبالفعل مرت بضع دقائق قبل أن تصل سيارة يقودها شاب يبدو أنه في نفس عمر شقيق مريم، وهنا ركب الأخ بجانب الشاب الذي يقود السيارة وأمر العم بأن يركب في الخلف، ثم قال للشاب: "لا تقلق، لم يكن كما ظننته ويريد أن يأتي معنا، قبل أن تعترض دعني أخبرك أن بعض المارة رأوا إطلاق النار وبالتأكيد سيبلغون الشرطة، وهذا هو شاهدنا الوحيد

الذي رأى وجهي ولذا فلا داعي للقلق، وجوده معنا آمن أكثر بالمناسبة، والآن لا تفكر بمناقشتي حتى وقُد بسرعة لتوصلنا إلى المنزل الآمن قبل أن تصبح الشرطة في أعقابنا!"

وبالفعل انطلق السائق بأقصى سرعته واختفى من المنطقة تماماً بعد أن دخل في عدة شوارع جانبية ببراعة شديدة تنم عن شخص يحترف القيادة منذ عشر سنوات على الأقل، حتى وصلوا إلى مبنى مهجور مستطيل الشكل له باب حديدي كبير في مقدمة مدخله، نزل الأخ ليرفع الباب بقوة ويفسح الطريق للسائق لكي يدخل بسيارته، ثم دخل وراءه وأنزل الباب ليغلقه مجدداً، وضغط عدة مفاتيح ليضئ الأنوار في المكان الذي كان يضم عدة مناضد وجدران معلق عليها أنواع شتى من الأسلحة، أثار هذا رهبة في نفس العم وهو يترجل من السيارة وشعر بأنه كان من الحماقة الشديدة أن يأتي إلى هنا، وأخذ يلوم نفسه بداخلها على فضولها وتسرعها، وقطع حديثه الداخلي مع نفسه صوت الأخ وهو يقول بصوت مرتفع مبتسماً في وجه السائق بعدما ترجل من السيارة: "لقد انتهينا من واحد منهم، تبقى ستة قبل أن ينتهي هذا الكابوس!"

وبعدها نظر إلى العم ولاحظ قلقه وارتيابه من المكان، فقال له مشيراً إلى السائق: "رحب بعزيز، سائقي العزيز!"

سأل العم وهو يزدرد لعابه: "من أنتم؟!"
=أوه، اعذرني أنني نسيت أن أخبرك باسمي، أعتقد أن هذا وقت مناسب للتعارف فيما بيننا، إن اسمي هو أدهم، واسمك أخبرتني أنه كمال عندما كنت عندك، أليس كذلك؟"
-نعم...لكن الأسماء ليست هي الإجابة التي أنتظرها!
=حسناً، أود حقاً أن أقص عليك القصة الطويلة وسأفعل ذلك صدقني، ولكن الآن ليس حقاً وقتاً مناسباً.

ثم التفت إلى عزيز قائلاً: "بما أن أفضل طريقة لهزيمة عدوك هو أن تجعله صديقك، وبما أننا اعتمدنا في عملنا كثيراً على هذا المبدأ؛ حان الوقت لنكرره مع عابد، فهو يستحق فرصة ثانية كما نعلم بأية حال وسأعطيها له اليوم، وغالباً ستكون الأخيرة كذلك!"

ثم التفت إلى العم قائلاً: "وستأتي معي، فإذا كنت حقاً تود مساعدتي رغم أن كل هذا غريب عليك فسيتعين عليك أن تعتاد مثل هذه الجولات، لا تقلق...لن يكون

هنالك أي ضرر في هذه الجولة بالذات، سنرتاح هنا لبعض الوقت ونخرج سوياً في المساء، هنالك أَسِرَّة في نهاية المكان حيث أشير لك، إذا كنت موافقاً اختر واحداً ونَم إلى أن أوقظك، إذا كنت لا تريد لهذه الغرابة أن تستمر أكثر وتريد العودة إلى منزلك فلا بأس، لكن أعلمني من الآن!"

أخذ العم يجول ببصره في المكان، ومرت بضع ثوان قبل أن يتوجه نحو الأسرة دون أن يتفوه بكلمة، مما جعل عزيز يميل على أذن أدهم هامساً: "أمتأكد أنه أهل للثقة؟!"

ليرد أدهم ببرود: "يستحسن به أن يكون!"

٣:

حل الليل، وعاد البرد ليقول مرحباً لكل من هم بداخل منازلهم أو بخارجها، وليوجه تحية خاصة إلى أدهم والعم اللذين كانا يسيران إلى....المكان الذي يود أدهم الذهاب إليه لفعل ما يريد أدهم أن يفعله والذي يعلم الله ما هو!

كانت مسيرتهما مشحونة بالصمت التام والقلق المتبادل بين الطرفين من أن يقتل أحدهما الآخر دون مبالغة؛ فقد كان أدهم قلقاً من العم بقدر ما كان العم نفسه قلقاً من أدهم!

وصلا أخيراً إلى منزل وتوقف أدهم أمامه، نظر ليرى الأنوار مضاءة من خلف نوافذ المنزل فتمتم قائلاً:
"تخرج متأخراً دون أن تطفئ الأنوار إلى أن تعود، أحسنت يا عابد!"

ثم نظر إلى العم وأشار إليه أن يتبعه، ثم سار نحو باب المنزل ووجده مغلقاً؛ فنظر إلى الأعلى ليجد أن هنالك بعض النوافذ المفتوحة، فتحرك نحو ماسورة طويلة تتدلى من أعلى المنزل واحتضنها بكامل جسده، ثم

شرع في تسلقها بحذر إلى أن أصبح قريباً من إحدى هذه النوافذ المفتوحة، ثم مد ذراعاً ليتعلق بإفريزها وبعد ذلك أفلت جسده من حول الماسورة ومد ذراعه الآخر ليقبض على الإفريز، وبعد أن تشبث جيداً به رفع الجزء العلوي من جسده ثم ضم ركبتيه إلى صدره وثبت قدميه على الحائط، ثم انخفض بجسده انخفاضاً بسيطاً وبعدها ارتفع به مجدداً بقوة، ورفع إحدى ركبتيه ليثبتها على الإفريز ومن ثم أكمل رفع جسده بالكامل، وأخيراً قفز إلى الداخل ومرت دقيقة تقريباً قبل أن يفتح الباب من الداخل للعم ويقول له: "تفضل، البيت بيتك!"

دخل العم بتردد وجلس على مقعد أشار إليه أدهم الذي جلس على مقعد آخر وقال: "والآن علينا فقط أن نتنتظره!"

قال العم مستنكراً: "تحدثني كأنني أعلم ما تفعله!"
=وكيف لي أن أخبرك به وأنا ما زلت لا أثق بك؟!
-ولماذا أحضرتني إلى هنا؟!
=لأنك أصررت على ذلك!
-أنت تعلم أنك كنت تقدر على ردعي!

=....لقد أحضرتك فقط لأنني شعرت بأنني مدين لك لما فعلته مع أختي، لم أرد قتلك أبداً بالمناسبة ولا أظنني كنت سأفعل، لكن...رغبتك في المجئ نفسها وتحملك لكل هذه الغرابة والإثارة....ما هو حقاً حافزك؟!

-...عندما كانت مريم معي حكيت لها أن هنالك خلافاً بيني وبين زوجتي، وأنني أنتظر ابنتي لتعود من جامعتها...لقد كذبت عليها؛ فزوجتي بالفعل كانت على خلاف معي وهي حامل في طفلتنا في شهورها الأولى، وقضت بعض الوقت عند أهلها، وذات يوم كانت تسير في الطريق وقد كتبت لي رسالة نصية مفادها أننا سنجلس وسنتصالح ونتفاهم وسيكون كل شيء بخير، هذا قبل أن يصدمها سائق متسرع بسيارته ويقتلها هي وطفلتنا! لم....أتأكد أبداً ما إذا كانت حقاً قد سامحتني على خلافنا الأخير أم لا، هذه الحكاية أغلب تفاصيلها كانت أقوال الشهود بالطبع، وكما تتوقع فلم يعرف أحد هوية السائق أبداً ولم تحصل زوجتي على عدالتها حتى اليوم ولن تحصل....ولن أحصل أنا على ابنتي! وبعد هذه الحادثة بفترة بدأت أجد نفسي شغوفاً بالأطفال والشباب الصغار جداً، وهذا حكيته لمريم بالمناسبة، أحبهم ويحبونني وينادونني دائماً بالعم كمال....أنا...لا أود التفكير في مجرد احتمالية أن يصيب مريم مصير

مثل مصير ابنتي، حتى لو لم أكن أعرفها، حتى لو كانت قد قضت معي ليلة واحدة لم أعرف عنها فيها شيئاً....لا أتوقع أن يؤثر هذا الكلام فيك ولا أحكيه ليفعل، إنما قد سألتني سؤالاً وأجبتك إياه!

=....لكنه أقنعني أيها العم!

-أفترض أن هذا أمر جيد!

=وماذا بشأن تأقلمك مع كل هذه الغرابة؟!

-....لقد خسرت كل ما كنت أحيا لأجله؛ وهذا أوجد بداخلي نوعاً من البرود الذي يجعلني حقاً لا أكترث كثيراً لغرابة ما يحدث، فلنقل إنني....أبحث عن إثارة في حياتي من نوع ما!

=إثارة تجعلك ترافق قاتلاً؟!

-وحتى الشيطان نفسه؛ لم أعد أرى في هذه الحياة أمراً منطقياً!

=....لا أستطيع أن أكذبك!

-ولا تستطيع أن تصدقني أيضاً!

=ليس الأمر كما....

وفجأة قطع حديثهما صوت دخول صاحب البيت، الذي حدق فيهما بذهول وتوتر شديدين، وألقى نظراته الأولى على العم قائلاً له: "أنت....أنت من كان في المنزل تلك

الليلة!"
أدرك العم من حديثه أنه أحد الخاطفين، وسرعان ما ظهر الغضب على وجهه، قبل أن يقوم أدهم مسرعاً من على المقعد ويوجه حديثه إلى عابد قائلاً: "أتعرف؟ رغم كل شيء فأنا لا زلت أدين لك لأنك من حذرني منهم في المقام الأول، أعرف أنهم يضغطون عليك ولكن صدقني يا عابد، أستطيع أن أنقذكما من بين براثنهم إذا عدت إلى صفوفي أو أصبحت مخبراً لي على الأقل...."

قاطعه عابد وقد استل مسدسه قائلاً: "لكنت قد استطعت حماية أختك!"
وهنا استل أدهم مسدسه بسرعة أكبر وأطلق النار على يد عابد ليسقط منها المسدس، ثم أتبع الرصاصة بواحدة في رأسه أردته قتيلاً، والتفت إلى العم قائلاً: "أعلم أنك توقعت محادثة أطول من ذلك، لكن لا ينبغي أن أخاطر أو أضيع أي وقت، لقد احتجزوا حبيبته وكانوا يستعملونها كوسيلة للضغط عليه، وعندما يعلمون بمقتله سيقتلونها وهذا ليس أمراً يهمني بأي حال، ألم يخبرني هو بطريقته السيئة ألا أتدخل؟! حسناً، لن أفعل!"

ثم انحنى ليفحص جثة القتيل، وأخذ من أحد جيوب ملابسه هاتفاً محمولاً، ثم توجه نحو الباب ونظر مجدداً إلى العم المذهول قائلاً له: "هيا أيها العم، لقد انتهينا من اثنين وتبقى خمسة، وسنعود الآن إلى المقر لكي نعمل سوياً للإيقاع بهم!"

لم يجرؤ العم على أن ينطق بكلمة، وأخفى قلقه واستنكاره بداخل نفسه وأذعن لرغبة أدهم؛ فعادا معاً إلى ذلك المبنى المهجور ليجدا هذه المرة أربعة أشخاص بانتظارهم وأحدهم هو عزيز السائق.

اقترب أدهم من أحدهم وقال له: "حسناً يا ماجد، سعيد بوصولكم يا رفاق حقاً، إن هذا هاتف عابد وهو ملكك لتمارس عليه ألاعيبك الالكترونية تلك لتحصل لنا على أية معلومات مفيدة!"

أمسك ماجد بالهاتف وبدأ بالبحث فيه لبضع لحظات قبل أن يقول: "لقد غيروا أرقامهم بالطبع، ويبدو أن عابد كان حريصاً على مسح الأرقام كلها إلا واحداً في صدارة السجل، انظر إلى توقيت انتهاء المكالمة!

نظر أدهم وعلق قائلاً: "قبل دخوله إلينا ببضع دقائق....أيعقل أنه نسي حذفها؟"
=ربما أغلق المكالمة لسبب ما وكان يود المتابعة بعد وقت قصير.
-ولكن....لم يتصل أحد حتى الآن، وقد مر وقت منذ قتله!
=...تمويه؟!
-ربما، لكن لا ينبغي أن نضيع أية فرص يا ماجد، تعقب الرقم أو افعل أياً كان ما عليك فعله لعله يكون أحدهم.

أنهى أدهم الحديث والتفت إلى باقي الرجال وحياهم، وبدا من أسلوبه أنهم مقربين جداً منه، كان القاسم المشترك بينهم هو نظراتهم المتحفزة والمتسائلة إلى العم، وقد لاحظ أدهم ذلك فقص القصة كلها وختمها بقوله قائلاً: "أحب حين يصبح لعملنا زاوية إنسانية، بالطبع نود جميعاً أن نتعاطف مع رفيقنا لخسارة ابنته، أليس كذلك؟!"

عقد العم حاجبيه قائلاً: "ليست الشفقة هي ما أبحث عنه!"

رد عليه أحد الرجال: "اعذر أدهم على لهجته الساخرة

المعتادة، لكننا حقاً لا نشفق عليك....كونك موجوداً هنا بكل تلك الجرأة وفضولك الذي يجعلك تخشى على حياة فتاة لا تعرفها حتى أمر يجبرنا على احترامك، حتى لو كنا لا نعرفك أيضاً!"

قاطع حديثهم صوت ماجد: "وجدته!"

رمى أدهم مسدسه في الهواء ثم مد يده ليلتقطه قائلاً: "أيها السادة، يسعدني أن أقول لكم بأنه لدي الليلة فرصة لممارسة هوايتي المفضلة؛ رجل آخر لنقتله!"

٤:

خرج أدهم ومعه رجل من الأربعة فهم العم من حوارهما أنه يدعى كريم، وفهم أيضاً أنهما سيذهبان في أثر الرجل الثالث ليقتلاه، وفهم أيضاً من قطع الأسلحة المفككة التي وضعها في حقيبته وهو خارج مع أدهم ومن كلمات أدهم نفسه أنه قناص ومقاتل شرس بالأسلحة النارية مثله، وأنه ذاهب مع أدهم ليؤمن ظهره خاصة وأنه لا يعلم مدى خطورة الموقف، وقبل أن يخرجا أمر أدهم العم بأن يظل هنا تلك المرة وأن يسلي وقته بأي شيء، وقال له متهكماً: "وبالطبع لن تجد؛ ولذا فمن الأفضل لك أن تنام حتى نعود بالأخبار!"

ولم يضيع العم وقتاً في التفكير إذ أنه كان يتمنى في ظل هذه الظروف أن يمر الوقت بأسرع شكل ممكن؛ فتوجه إلى مكان نومه بالفعل وظل يتقلب لبعض الوقت إلى أن بدأ وعيه بالدنيا يغيب، ونام...!

واستيقظ بعد بضع ساعات على صوت أحد الرجال وهو يتحدث على الهاتف مع أحد بدا أنه أدهم؛ فقد كان يهنئه على كونه سالماً ويخبره بأنهم في انتظاره، وبعدها أغلق المكالمة.

قام العم وجرب محاولة الحديث مع الرجال بأن سألهم جميعاً: "ألا يمكنكم أن تشرحوا لي ولو جزءاً مما يحدث قبل أن يعود زعيم المافيا هذا؟!"

نظروا إلى بعضهم وتبادلوا الابتسامات، ثم عادوا بنظرهم إلى العم ورد عزيز: "كلا، لا نخالف أوامر القائد؛ فلا تحاول!"

وقال ماجد: "إنه عائد بالمناسبة مع كريم، لا تقلق فسيكونان هنا بعد بضع دقائق."

وهكذا أشاحوا بنظرهم عنه وعادوا إلى الحديث في أمورهم، ولم يجرب العم أن يسترق السمع لأنه من الواضح أنهم قد يقتلوه إذا لم يشعروا في أية لحظة بأنه لا يعجبهم!

ومرت بضع دقائق بالفعل قبل أن يعود أدهم وكريم، وقد اقترب أدهم من ماجد عندما وصل قائلاً: "لأول مرة اشعر بأنني قتلت شخصاً لا يستحق القتل!"

عقد ماجد وبقية الرجال حواجبهم، فاستطرد أدهم

موضحاً: "يا رفاق، إنني أتحدث عن عابد، لقد ترك الرقم عمداً بالفعل ليرشدنا إلى الثالث؛ فنحن لم نواجه في قتله أية صعوبات أو مفاجآت!"

اقترب ماجد وسأله: "بالمعنى الحرفي؟!"
=نعم يا ماجد....بالمعنى الحرفي! ربما يكون قد توقع قدومنا أو ربما يكون أراد مساعدتنا...

قاطع ماجد حديثه بأن أراه سجل بحث أرقام الهاتف في هاتف عابد، وكان رقم أدهم في الصدارة، وقال موضحاً: "أنت محق، إنما أردت التحقق من شكوكي فقط، لقد بحث عنك عابد في هاتفه منذ وقت قصير وهذا يعني أنه كان يرغب في مكالمتك فعلاً....لقد أخطأت بقتله يا أدهم!"
=لن أكذب وأقول أنني لم أملك خياراً آخر...لكن الغضب أعماني....

وفجأة توقف عن الحديث وأخذ يمشي في المكان بعشوائية، ومرت بضع ثوان قبل أن يستقر جالساً على أحد الكراسي ويقول: "أريد استعادة أختي، وأريد لهذا أن ينتهي إلى الأبد، أياً كان الثمن!"

لم ينطق أحد من الرجال بكلمة لبعض الوقت، وفجأة قطع سكون المكان صوت رنين هاتف أدهم، فرفعه ليرى من المتصل وعندما نظر إلى الشاشة فتح عينيه عن آخرهما، وبدا على تعابير وجهه خوف ممزوج بالغضب والترقب وهو يرد قائلاً: "لو أنك مسست...."

قطع حديثه إثر كلام المتصل، وظل يستمع لبضع دقائق قبل أن يقول بصوت خفيض: "موافق!"

وأغلق المكالمة، وأعاد الهاتف إلى جيبه وتحدث: "إنه أحدهم، يتصل لأن مريم معه وقد طلب فدية لمبادلتها، ويريد...."

نظر إلى العم وأكمل: "ويريد أن يذهب العم لإتمام الصفقة، لأنه يعلم أنه معنا وأنه عجوز لا يقدر على الدفاع عن نفسه؛ ولذا سيكون الأمر أقل خطورة وأقل عرضة لمحاولات الغدر!"

فتح الجميع عيونهم عن آخرها فاغرين أفواههم وهم يتبادلون النظرات الحائرة إلى بعضهم، وخاصة العم الذي بدت ملامحه كملامح من رأى صاعقة من البرق

تنزل من السماء على بعد خطوة واحدة منه!

قام أدهم من كرسيه وتوجه إلى العم حاملاً سلاحه، وأمسك بقبضة يد العم وأمره بأن يحمل السلاح، ثم قال له: "إنهم يأمنون غدرك ولذا علينا أن نكسر توقعهم، سأعلمك كيف تستخدم هذا، وستذهب بالمال وتقتل مبعوثهم وتحضر مريم لأنه سيكون وحده...."

قاطعه العم بقلق وانفعال واضحين: "انسَ الأمر....عليك اللعنة، أنت وأنتم وحتى أختك، إنني راحل!"

جذبه أدهم من ملابسه بشدة وقال بصوت غاضب: "أيها الأحمق! أنت تذكرتنا لننهي هذا، لا يمكنك أن تتركنا الآن!"
-ومن أنتم؟! ومن هم؟! ومن هي؟! أترك من لا أعرفهم أصلاً؟!

أفلته أدهم، وقال: "إذا قصصت عليك كل شيء، أتوافق على أن تظل معنا؟!"
-لا!

صاح أدهم بغضب شديد: "أنت لا تدعني أتحدث حتى! إن حياة أختي على المحك أيها الجبان الأحمق وأنت لا تفهم أي شيء!"

لم يرى العم في عيني أدهم غضباً وقوة كما ينذر صوته، لكنه رأى خوفاً شديداً واهتماماً بالغاً بحياة أخته، وإثر رؤيته لهذا حضرت إلى ذاكرته على الفور الحادثة الأليمة التي أودت بحياة زوجته وطفلته، وتخيل أن مريم بالفعل تغرق في دمائها وليس له حيلة لينقذها؛ فلم يرد أن يسمح لذلك الألم أن يتكرر بأي صورة مع غيره حتى ولو كان قاتلاً غامضاً يقود مجموعة من القتلة مثله في مهمة لا يعرفها، ولكن لا بأس، ألن يعرفها الآن كما وعده أدهم؟

إذن فلا بأس حتى على الأقل من سماع حكاية أدهم قبل اتخاذ قرار نهائي بالهروب من كل هذا الجنون أو بالمتابعة فيه؛ ولذا فقد رد على أدهم قائلاً: "حسناً يا أدهم، قُصَّ علي قصتك، إنني منصت!"

هدأت ثورة أدهم، وقال بلهجة يشوبها الأسف: "أنا لا أحب حقاً أن أكون هكذا، لو أن أحداً غيرك كان وجوده

معنا أو بعيداً عنا خطراً مثلك لكنت قتلته، ولكنني أحترمك وما كنت لأقتلك لو كنت قد أصررت على الرحيل، لكن الآن....أنا أحتاج إليك وأستطيع أن أفعل لك أي شيء مقابل أن تساعدني في استعادتها! سأقص عليك كل شيء...أملاً في أن يتغير رأيك بشكل صادق."

٥:
أنصت العم إلى أدهم وهو يقص قصته: "ما أود أن أعترف لك به....هو أننا هنا عصابة من المجرمين وأنا الزعيم، وننفذ مهام اغتيال وسرقة لمصالحنا الشخصية، جمعنا قديماً الفقر وقسوة المجتمع وسخرية آبائنا وعدم جدوى وجودنا في الحياة حسب كلامنا، وكل هذا الهراء...كنا سبعة في البداية قبل أن ينضم إلينا ستة شبان تابعين لعابد، لم نحتك بهم كثيراً بل كانوا مجرد مساعدين في بعض الأمور وتجاراً لبعض البضاعات وهكذا، فريقنا الحقيقي كان يضمني وعزيز وماجد وأحمد وكريم وعابد ومريم!"

قاطعه العم سائلاً إياه بنظرة ولهجة استنكارية: "مريم؟!"

ضحك أدهم وأكمل: "لم يظهر عليك أي عجب أو قلق حينما ذكرت لك أننا مجموعة من المجرمين، لكنك انفعلت إثر سماعك لخبر أن مريم كانت منا!"
-لأن هذا ليس أمراً غريباً على الإطلاق بأية حال، ليس أغرب من فيلم الأكشن الذي أحياه منذ أتيتَ إلي!
=لن أستطيع أن أختلف معك، ولكن عليك أن تعترف بأن الأمر كله مثير بقدر ما هو خطير، أليس كذلك؟! لا تجب

عن هذا...بأية حال دعني أكمل لك الحكاية، مريم معنا كانت ذات دور محوري؛ فكثير من عملياتنا كانت ضد رجال أثرياء وكما تعلم؛ حياتهم مملة جداً لدرجة أنهم ينفقون أموالهم في سبيل أي نوع من المتعة!
-اللعنة، كم أود أن أتقيأ....
=اهدأ يا رجل! لقد كانت تسقيه شراباً منوماً وكان هذا يفلح كل مرة! أرجو ألا يقلل هذا من نظرتك إليها!
-....انا لا أدري يا أدهم، فقط تابع!
=كان والدنا قاسياً معنا وكان....حسناً لم يكن أفضل منا بأية حال؛ فأذكر أنه خان والدتي بشكل بشع، وكان قد استثمر أمواله في ملهى ليلي دون علمنا...أمور كتلك، المهم أن مريم حلمت ذات يوم بأحد تلك الأحلام التي ترى نفسك فيها على حقيقتها المظلمة وتموت بالقرب من شخص مثلك، وقد رأت مريم هذا مع والدها فبث هذا خوفاً عظيماً في نفسها وقررت أن تتركنا!
وقد كنت في قرارة نفسي سعيداً رغم أنني عارضتها وحاولت منعها بل وحتى صرخت فيها، وعقدت نية بيني وبين نفسي أن كل هذا يجب أن ينتهي يوماً ما، وأنني اكتفيت من هذه الحياة التي ستقضي علي إذا لم أقضي عليها أولاً، عقدت النية و...نسيت!
منذ وقت قريب كان من المفترض أن نداهم رجلاً ثرياً

آخر، وبالطبع احتجنا مريم لكنني أخبرتهم أنها قد تركتنا، أرادوا مني محاولة إقناعها ففعلت ولكنها رفضت فأخبرتهم ثانية، لم يعارض رفاقي الخمسة الأمر كثيراً ولكن الستة التابعين لعابد بدا عليهم غضب شديد وشعرت أنهم قد أضمروا في أنفسهم أمراً ما!
لقد كانوا مجرمين حقيقيين بعيون وقلوب وأرواح يملؤها الشر، ليسوا مجرد شباب حكمت عليهم الحياة بالإعدام يناضلون لإلغاء هذا الحكم بطرق قذرة، إنهم هم من يريدون الحكم على كل شيء بالإعدام! إنهم تلك الفئة من البشر التي قد تنفق كل ما لديها من أموال في سبيل إحراق مدينة كاملة بهدف التمتع بالمنظر ليس إلا!
ذات يوم وجدت أختي مفقودة، وصلتني أخبار سيئة من عابد بعدها بأن رفاقه الملاعين قد اختطفوها واحتجزوها لإجبارها على تنفيذ المهمة ووثقوا في عابد لكي يكتم الأمر لكنه لم يفعل وأخبرني، وعندما علمتُ بالأمر استدعيتهم، وأمرت رجالي على حين غرة بضربهم حتى الإغماء وقد حدث، بعدها أوثقتهم بالحبال جميعاً وخلعت حزامي وكنت أنهال عليهم ضرباً وقد مزق رجالي ملابسهم قبل ربطهم، ظللت أضرب وأضرب إلى أن سالت منهم الدماء، وطردتهم من فريقي وأخرجتهم من المكان عُراةً...أخرجتهم عراة! وكان هذا

عندي أفضل من قتلهم، ولكنني رغم ذلك ندمت على أنني لم أقتلهم في محرقة جماعية!
لقد ثارت ثورتهم على عابد ولكنه ظل يقنعهم أنه فعلها كي لا أشك فيه، وإلى اللحظة التي قتلته فيها كان محاصراً بين نارين لا يستطيع الهروب من أيهما، و....رحمه الله!
وإذن فعليك أن تكون قد توقعت بقية الحكاية!
-عاد لينتقم، أليس كذلك؟!
=بالتحديد! في الواقع لقد عادوا جميعاً يا رجل، فقد علمتُ أنهم شرعوا في مطاردتها، لكنني كنت متأكداً أنهم لن يقتلوها؛ فهم يريدون وسيلة إهانة وضغط فقط ليفعلوا بي مثلما فعلت بهم: يعذبونني!
أجبرت مريم على أن تبيت عندي لأنها كانت قد ابتعدت عنا كثيراً بالطبع وعادت إلى منزلنا القديم، بعد جدال شديد واعتراض وصراخ منها في وجهي، وأخبرتها بالقصة كلها وبأنني أحميها، لكن رغم ذلك هربت مريم ليلاً!
-هذا يعني أنك نمت! بالله عليك كيف استطعت أن تنام وأختك في هذا الخطر المحدق؟!
=لقد اعتدنا على التنقل بين الشقق المختلفة كنوع من التمويه، فما كانوا ليجدونا بسهولة وهذا أيضاً ما جعلني

أتأكد أنها هربت إضافة إلى أمر آخر، فقد ذهبت إلى منزلنا القديم ووجدتها قد أخذت رداءها الأحمر المفضل وهو رداء كانت والدتنا قد اشترته لنا قبل أن تموت قهراً بسبب أفعال والدي الملعون، ولذا فقد سألتك عنه!

-...رحمها الله!

=وهنا تأكدت أنها أتت إلى هنا بالفعل لتأخذه، لكن أولئك الحمقى كانوا يعلمون مكان هذا المنزل وليس الشقق! ولذا فقد جننت عندما لم أجدها وعلمت أنهم إما قد اختطفوها بالفعل أو أنهم يتتبعونها الآن لفعل ذلك؛ فاتصلت برجالي وأمرتهم بالبحث عن هؤلاء الرجال وتتبعهم، ومحاولة اعتراض خطفهم لمريم إذا استطاعوا، وبالفعل توصلوا إلى أنها عندك ورأوهم يحاولون الدخول، لكنهم للأسف كانوا مدججين بالسلاح وكانت لديهم سيارة سريعة جداً لم يستطع رجالي هنا أن يلحقوا بها، وهكذا خدروك وخدروها واختطفوها، ولذا فقد جئت إليك في المقام الأول ظناً منك أنك متورط في الأمر، وما يجمعنا الآن هو رغبة شديدة بإنقاذ أختي البريئة من كل هذا العبث الذي أدخلته فيها، ومحاولة للتكفير عن ذنب لم أعد أستطيع أن أنام به!

-وكيف لك أن تنام به يا أدهم!

=قل ما شئت فأنا أعرف قدري، وأعرف كم أنا حقير،

وكم رجالي كذلك، ولن يتفوهوا بكلمة!
-لكنكم ستعودون إلى أفعالكم بعد إنقاذها، صحيح؟
=....لا أظننا سنفعل أيها العم، لا أظنني مستعداً لأن أحيا هذه الحياة مجدداً، لكن علينا فقط أن نجد أختي مجدداً كبداية، وبعدها سننظر إلى هذه الأمور.
قصة شيقة بالطبع، أليس كذلك؟! لقد كنا ناقمين جداً على الحياة وعلى المجتمع أيها العم، وهذا صراع تفهمه بسهولة دون الخوض في تفاصيله، لقد كنا ننتقم من أنفسنا ليس إلا وقد فعلناها، الآن فقط ندرك أننا لم نحيا، لا حياة جيدة ولا سيئة....نحن لم نحيا على الإطلاق!
أسألك مجدداً، وأقسم لك بأنك حر لفعل ما تريد: هل أنت مستعد لمساعدتي؟!

تأمل العم المكان حوله لبضع ثوان، وفجأة ارتكز ببصره على وجه أدهم وظل يحدق إليه لدرجة أن أدهم نبهه إلى ذلك ساخراً: "ماذا؟ أيعجبك وجهي لهذه الدرجة؟! هل سَتُقَبِّلُنِي أم ماذا؟!"

ضحك الجميع إثر تعليق أدهم الساخر إلا العم الذي قال بجدية: "لو عُرِضَ علي أن أعود بالزمن وأضحي بنفسي

مكان زوجتي لكنت قد رضيت بذلك، لكم أود أن تكون تلك السيارة قد دهستني أنا بدلاً منها! وأعلم يقيناً أنك مستعد للقيام بتضحية مماثلة لكنك لا تستطيع القيام بها الآن لأن يديك معقودتان....ولذا فسأقدمها أنا لك كهدية! أياً كنت وأيا كان ما فعلت فأنت تستحقها!"

ثم قام واقترب من أدهم ومد يداً إليه قائلاً: "أعطني المسدس، وأخبرني بما أفعل، وأنا مستعد لأموت في سبيل أختك الليلة، فلم تعد لدي أي حياة باقية بأي حال، ولم يعد لدي ما أخسره أو أضحي لأجله؛ ولذا فعلي الآن أن أجد ما يستحق التضحية، ولن أضيع هذه الفرصة!"

٦:

وصل العم إلى المكان المحدد في ظلام الليل الدامس، والذي كان عبارة عن ساحة واسعة شبه فارغة تماماً، اللهم إلا من بعض السيارات التي تبدو غالية جداً، وهذا بالطبع كان كما أخبره أدهم جزءاً من عملهم الجانبي القذر، وهو سرقة وتخزين السيارات لبيعها أو الاستفادة منها لاحقاً.

كان يحمل حقيبة بها المال المطلوب، وقد وضعها على الأرض حينما وصل مترقباً ما سيحدث، وأخيراً سمع أصوات أقدام تقترب من المكان، ومرت بضع ثوان قبل أن يرى أمامه رجلاً يسير وهو يحمل بين يديه فتاة موثقة بالحبال وفمها مكمم، ولا بد بالطبع أنها مريم!

ألقاها على الأرض بشكل غير آدمي مما أثار غضب العم لكنه حاول أن يتمالك أعصابه، لأن هذا بالمعنى الحرفي موقف حياة أو موت، والمثير للدهشة أنه كان حقاً يأبه لحياة الفتاة في تلك اللحظة وليس لحياته على الإطلاق!

قال الرجل ببرود: "ارمي الحقيبة، وبينما اتأكد من أن الأموال لا تزيد أو تنقص عما طلبناه اذهب وفك قيد

الفتاة!"
ألقى إليه العم بالحقيبة فالتقطها، وجلس على ركبتيه وفتحها ليتأكد من اكتمال المال، وترك العم يتخطاه حتى أصبح قريباً من الفتاة ونظر إليه وهو يعد الأموال، ثم استل على حين غرة منه مسدساً من جيبه وأطلق النار على الرجل مردياً إياه قتيلاً!

لم يعرف العم وقتها طبيعة شعوره؛ لم يدرِ أهو خائف أم نادم أم غير مستوعب لما حدث، لكنه منذ سمع القصة كاملة من أدهم وهو يتمنى حقاً لو أنه كان قد قتل الستة الذين عذبوا مريم كلهم بنفسه!

وفجأة قطع أفكاره صوت رصاصة انطلقت من مكان قريب، وتبعها صوت يقول: "ظننت حقاً أن الأمر سينتهي بهذه السهولة؟!"

لاحظ العم الاتجاه الذي أتى منه الصوت، وركض بعيداً عنه واحتمى خلف سيارة من السيارات الموجودة، ومرت بضع ثوان قبل أن يسمع صوت أقدام أحدهم وهو يقول: "تعرف بأنني لو أطلقت النار على خزان الوقود فسوف أقضي عليك تماماً، أليس كذلك؟!"

توقف عقل العم حرفياً عن العمل، وشعر بأن هنالك أغلالاً تكبل بدنه وتمنعه من الحركة، شعر بأن روحه تنازع للخروج من فرط الخوف وعدم استيعاب الأحداث الحالية، شعر فجأة بأن الموت يحيط به ويسخر منه، شعر....

لا، بل سمع!

سمع صوت طلقة أخرى تلاها صوت صراخ وتأوه شديد بدا أنه من نفس الشخص الذي كان يتحدث، لم يفهم العم شيئاً وظل غير مطمئن إلى أن أتاه صوت أدهم: "يبدو أننا أخطأنا بائتمانهم عليك، وحتى لو كنت مستعداً للموت والتضحية فهذه غلطتي!"

بدأت الراحة تتسلل تدريجياً إلى قلب العم، واقترب أدهم منه بعد بضع ثوان وقال له: "قم الآن حتى نحرر مريم، لقد عين الأحمق رجلاً ثانياً معه في حال حدثت أية مفارقات، وبالطبع لم يتوقع على الإطلاق أن تقتله وقد حطمت أنت توقعاته قبيل أن يموت وكذلك توقعات حارسه، والآن إذا نظرنا إلى الجانب المشرق سنجد أننا قتلنا رجلين، وهذا يعني أنه لم يبق سوى

رجلين، والحقيقة أنني وأخيراً وجدت مريم ولذا فأنا لا أهتم، أحمد يصلح السيارة مع باقي الرجال بالقرب من المكان، وهو الميكانيكي في فريقنا بالمناسبة."

سحب أدهم العم من يده وساعده على النهوض، وسارا معاً تجاه الفتاة ليفكا قيدها، وعندما أمعنا النظر وجدا أن هذه ليست مريم، إنما دمية كبيرة برداء أحمر!

أغمض أدهم عينيه وعض على شفتيه، وابتعد قليلاً ثم جثا على ركبتيه، وصاح بصوت عال وهو يضرب الأرض بيديه: "لا، لا!! لقد كنا قريبين، لا!!"

أما العم فقد جلس أمام الدمية على الارض وقد شلت المفاجأة لسانه وذهنه وبدنه، لكنه حاول أن يتحدث قائلاً: "لا بد أنها لا تزال معهما، لن يقتلاها يا أدهم...ليس الآن، إنهما يريدان عقابك وحسب!"

لم يرد أدهم، لكنه هدأ واعتدل في جلسته ليواجه العم قائلاً: "هذه هي اللحظات التي تتمنى فيها لو أنك لم تولد قط!"
-بلا شك هذه هي أمنيتي الآن!

قاطع حديثهما قبل أن يبدأ حتى صوت رنين هاتف أدهم، فأخرجه ليرى من المتصل فإذا به يجد رقماً مجهولاً آخر، فرد بقلق مستنتجاً بأنه أحد الرجلين: "اين هي؟!"

ظل صامتاً بينما أتاه الرد، وعندما انتهى المتصل من حديثه أغلق أدهم الخط، والتفت إلى العم قائلاً: "لقد تعمدوا هذه الخيانة، إنك محق....إنه يريد أن يعذبني، قائدهم اللعين ذاك!"

وفجأة رن هاتفه مجدداً؛ فأخرجه ليجد أن المتصل هو أحمد، فرد وسمع الأخبار وأغلق الخط ثم تابع الحديث: "لقد هاجمهم أحد الرجلين لكنهم قتلوه، يبدو أنه يحاول قتلنا قبل أن نصل إليه حتى، إنه ماكر ورجله هذا كان ماكراً أيضاً لأنه استخدم الظلام كستار له وحاول قتل ماجد بشكل صامت لكنهم فطنوا له....رائع!"

سأله العم بقلق: "ماذا قال لك قائدهم؟!"
=أعطاني عنواناً وأمرني بأن آتي وأحضركم جميعاً لنتفاوض بشأن بعض الأمور، وأمرنا بأن نأتي بكامل أسلحتنا أو بدونها فهو لا يهتم...إن مريم بحوزته وهو

يهدد بقتلها! يجب أن ينتهي هذا الليلة أيها العم، حتى لو عرض علي أن يقتلني في سبيل أن يطلق سراحها فسأقبل بذلك!

٧:

وصل أدهم والعم ورفاقه إلى المكان الذي حدده المجرم الأخير والذي كان باحة ركن سيارات فارغة تقريباً، وترجلوا من سيارتهم عديدة المقاعد إثر وصولهم ليروا مريم مستلقية على الأرض بردائها الأحمر، وما أن شرعوا في الاقتراب منها حتى ظهر أمامهم قائد حفنة المجرمين وقد رفع مريم من على الأرض وأوقفها على قدميها، وطوقها بذراعه، وألبسها طوقاً به لمبة صغيرة تشع ضوءاً أحمر، وكان بيده الأخرى جهاز تفجير!

ساد الصمت، وقطعه حديث العم وهو ينظر إلى مريم مبتسماً وعينيه تذرفان دموعاً قائلاً: "سيكون كل شيء بخير!"

بادلته مريم ابتسامته ودموعه، فأردف: "لقد كذبت عندما قلتُ لكِ أنكِ تذكرينني بابنتي، لقد ماتت زوجتي وهي حامل في ابنتي في حادث أليم، وهذا ما جعلني أحب الأطفال والصبيان والشباب وأقدرهم جداً، والآن أنا هنا لأنني لا أود لك مصيراً مشابهاً، سامحيني!"

قالت بصوت متهدج من بين دموعها: "إنني حقاً سعيدة

بأنك هنا لأجلي! أرجو أنك لا تزال تظن بي خيراً!"
-كلنا هنا لأجلك يا مريم، سيكون كل شيء بخير!

ابتسمت مريم، وانتقلت ببصرها إلى أدهم وقالت له بعتاب: "أرجوك، دع كل هذا ينتهي الليلة، لا مزيد!"

رد أدهم من بين دموعه القليلة: "لا مزيد، أعدكِ!"

ضحك المجرم بصوت عال قائلاً: "نعم...ذلك الهدوء العاطفي الذي يسبق العاصفة!"

قال أدهم بقلق واضح ونبرة انهزامية: "لقد أتينا....اطلب ما تريد!"

قال بشماتة: "في الواقع يكفي أن أراك ذليلاً هكذا! ولكن أولاً دعنا ننتبه إلى بعض البديهيات، إن أختك هنا حول عنقها طوق متفجر ذو نطاق ضيق، إذا ضغطت هذا الزر فسننفجر سوياً ونترككم لتتمتعوا بالمنظر!"

رد أدهم ببعض الشجاعة محاولاً الابتسام: "لا أظنك مجنوناً لدرجة تجعلك تود قتل نفسك!"

=في الواقع إنني كذلك، فلم تكن عندي يوماً حياة أصلاً، كانت وما زالت كل متعتي في الدماء المُرَاقة، وفعل كل ما ينفر الإنسان الجيد منه، أحب أن أكون حراً حتى في ذنوبي، وحتى في إنهائي لحياتي!
-هذا الشر الجاري بعروقك سيقتلك!
=إن الشر لا يجري في عروقي يا أدهم، بل أنا هو الشر ذاته! لقد أهنتني وقد قررت أن تكون كل حياتي مكرسة في سبيل تدميرك وتعذيب روحك، لن يمنعني شيء يا أدهم من ذلك، لا أحد ينافسني الآن في شري سوى الشيطان نفسه!
-فقط....اطلب ما تريده أيها المختل اللعين وافعل ما تشاء فلن أمسك بسوء!
=ولكنني لا أنتظرك أن تفعل! وبالنسبة إلى الإجابة على سؤالك فقد أخبرتك إياها، وسأعيدها عليك مجدداً: أريد أن أهلكك تماماً!

أنهى جملته وضغط الزر ليفجر مريم ونفسه إلى أشلاء ودماء متناثرة وسط صدمة الجميع وصراخ أدهم الذي انهار من البكاء والانفعال وأخذ يضرب نفسه ويشد شعره حتى كاد يفصله عن رأسه، وبعد بضع ثوان من جنونه والصمت المطلق الذي غرق فيه الجميع سواه

وضيق التنفس الذي كاد أن يودي بحياة العم من فرط رعبه وحزنه وعدم تصديقه لما حدث، أخرج مسدسه من جيبه وصوبه تجاه رأسه، وضغط الزناد لينتحر!

وأمام جثة أدهم الهامدة وأشلاء مريم المتناثرة، شعر الجميع بأن أقدامهم لا تقوى على حملهم، وبعد بضع محاولات فاشلة لامتصاص الصدمة أخرج ماجد هاتفه، وأبلغ الشرطة عن مكان الحادث، وأغلق الخط وجلسوا جميعاً ينتظرون، وبالطبع فهم العم من انتظارهم أنهم سيسلمون أنفسهم!

وأخيراً استطاع أن يتحدث من بين دموعه بصعوبة قائلاً: "ليت الله توفاني قبل أن أشهد هذا!"

رد عليه ماجد بنفس الصعوبة: "ستصل الشرطة بعد قليل، اخرج من هنا بأقصى سرعة ممكنة، اركض بعيداً بقدر ما تستطيع إلى أن تجد منزلك، أرجو أن تكون لا تزال تعرف مكانه!"
-....نعم، وربما أستخدم نظام تحديد المواقع في هاتفي إذا ساءت الأمور.
=جيد....والآن اهرب!

-.....لا أستطيع! لا أستطيع فقط أن أتقبل ما حدث...لا أستطيع منع نفسي من البكاء حتى!
=اسمع...هذه ليست معركتك، ولا مصيرك ولا جزاءك، لا شيء من هذا متعلق بك....لقد جئت إلى هنا بإرادتك، وعليك الآن أن ترحل وتترك كل هذا بإرادتك قبل أن تخرجك الشرطة رغماً عنك، ادهس على قلبك! لقد حدث ما حدث!
-....لقد ماتت، لقد لقيت نفس المصير الذي كنت مستعداً للتضحية بنفسي لئلا تلقاه!
=نعم، وما من شيء سيغير هذا!
-كنت أتمنى لو أن الأمور أخذت مجرى مختلفاً....الوداع!

تركهم العم وخرج من الباحة وأسرع يحث الخطى متوجهاً إلى بيته، لم تكن الظروف في صالحه على الإطلاق؛ فالبرد يعيق ركضه والتعب أرهق جسده، وتفكيره سيفجر عقله والحزن يعتصر قلبه!

وفي منتصف الطريق، توقف العم فجأة وشعر بأنه عاجز تماماً عن الحراك، واستلقى بهدوء على الأرض ونظر بجانبه ليجد زوجته تقول له بحنان يذكره جيداً: "ربما حان وقت النوم!"

ابتسم العم ورد قائلاً: "أتسامحينني؟!"

فبادلته الابتسام وقالت: "دائماً وأبداً، أسامحك وأحبك ولا أحب غيرك!"
-أشعر بأنني خذلتكِ، وخذلتها، وخذلت نفسي!
=وأنا لا أشعر سوى أنك رجل صالح!
-افتقدتكِ جداً وربي يشهد!
=وأنا أكثر!
-....تصبحين على خير!
=وأنت من أهل الخير يا عزيزي!

وأغلق العم عينيه، للمرة الأخيرة في حياته، وإلى الأبد.

سر ليلة
محمد تامر